حقيقة آل البيت
في المنظور القرآني

مؤلف:

حارث عبد الحميد الشوكانى

هذا الكتاب تم تنزيله من موقع العقيدة

www.aqeedeh.com

العنوان البريدي: book@aqeedeh.com

بعض المواقع الإسلامية النافعة باللغة الفارسية

www.aqeedeh.com
www.islamtxt.com
www.ahlesonnat.com
www.isl.org.uk
www.islamtape.com
www.blestfamily.com
www.islamworldnews.com
www.islamage.com
www.islamwebpedia.com
www.islampp.com
www.videofarda.com
www.nourtv.net
www.sadaislam.com
www.islamhouse.com
www.bidary.net
www.tabesh.net
www.farsi.sunnionline.us
www.sunni-news.net
www.mohtadeen.com
www.ijtehadat.com
www.islam411.com
www.videofarsi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ديننا الإسلاميّ العظيم دينٌ عالـميّ الرّسالة، إنسانيّ الوجهة والـمنطلق، أنزله الله رحمة للعالـمين؛ لإخراج النّاس من ظلمـات العبوديّة والاستبداد والظّلم، إلى نور الحرّية والعدالة والـمساواة.

ولكن دخل على ديننا الحنيف من تأويل الجاهلين، وانتحال الـمبطلين، وتحريف الغالين ما عكّر صفو مبادئه وقيمه السّامية، لا سيّما في عصور الانحطاط والتخلّف، ولذلك يتوجّب على علماء الإسلام ومفكّري هذه الأمّة كما تصدّوا للتيّارات الفكريّة الـماديّة والإلحاديّة التي حاولت النّيل من الإسلام من خارجه- أن يتصدّوا أيضًا للأفكار والـمفاهيم الـمغلوطة التي ضربت مقاصد الدّين، وشوّهت تعاليم الإسلام من داخله.

ومن أخطر الـمفاهيم التي شوّهت عالـميّة الإسلام ومقاصده الداعية إلى الحريّة والـمساواة والعدالة والشّورى والوحدة- تلك الـمفاهيم والأطروحات التي فسّرت الإسلام تفسيرًا عنصريًّا جاهليًّا عبر الادّعاء بالحقّ الإلهيّ للولاية العامّة في آل البيت.

فهذا هو القاسم الـمشترك بين الفرق والـمذاهب الشّيعيّة في الجملة على اختلافها في التّفصيل، وهو رفض مبدأ الشّورى كأساس تقوم عليه الدّولة الإسلاميّة والولاية العامّة، مع أنه أصل قرآني قطعيّ السّند والدّلالة بصريح القرآن: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وادّعاء كافّة هذه الـمذاهب والفرق الشّيعيّة بالحقّ الإلهيّ للولاية العامّة في الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ وكرّم الله وجهه وأولاده من بعده- بحجّة أنّ الإمام عليّ وأولاده هم أهل بيت رسول الله ﷺ وبالتّالي فالإمامة والولاية العامّة حقّ محتكر لآل بيت رسول الله وأهله، محروم منها كافّة الـمؤمنين الذين لا ينتسبون -بزعمهم- لآل البيت أو أهل البيت، زاعمين أنّ العلم

والتّقوى غير كافية لتولّي الولاية العامّة والخلافة والسّلطة السّياسيّة الإسلاميّة، بل لا بدّ من الأفضليّة العنصريّة.

هذا التّأويل العنصريّ الاستعلائيّ الاستكباريّ للحقوق السّياسيّة والاجتماعيّة في الإسلام هو ما ترتكز عليه المذاهب الشّيعيّة المختلفة، ابتداء من المذهب الهادويّ المنتحل للإمام زيد، ومرورًا بالمذهب (الاثناعشري) المنتحل للإمام جعفر الصادق، وانتهاء بالمذهب الباطني الإسماعيلي المنتحل للإمام إسماعيل.

ولـمّا كانت نظريّة الإمامة والولاية القائمة على الحقّ الإلهيّ في مختلف المذاهب الشّيعيّة ترتكز على أساس أفضليّة آل بيت رسول الله وأهله من النّسب والطين لا آله من الإيمان والدّين رأيت مناقشة موضوع من هم آل البيت وأهل البيت في القرآن؛ لتقويض هذه الخزعبلات الشّيعيّة من أساسها، وصدق عالم اليمن وشاعرها الإمام نشوان بن سعيد الحميري القائل في بيان من هم آل البيت:-

آلُ النّبي هم أتباع ملّته ... من الأعاجم والسّودان والعربِ

لو لم يكن آله إلاّ قرابته ... صلّى المصلّي على الطّاغي أبي لهبِ

ولا يخفى في هذا المقام للمتعمّق في دراسة المذاهب الشّيعيّة بأن التّشيّع في الحقيقة هو التّأويل المجوسيّ للإسلام؛ فمن المعروف أنّ مجوس الفرس بعد سقوط الدّولة الفارسيّة سياسيًّا وعسكريًّا رفعوا شعار (عجزنا عن مقاتلتهم على التّنزيل فسنقاتلهم على التّأويل)، وقد أكّد القرآن خطورة هذا التّأويل بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل‌عمران: ٧]. ويتعزّز هذا الفهم لهذه الآية بأنّ المقصود بهذا التّأويل هم المجوس بصورة خاصّة، بقول الرسول ﷺ في الحديث الصّحيح المتن لموافقة متن الحديث لمتن الآية: «سيكون أناس من أمتى يضربون القرآن بعضه

ببعض ليبطلوه ويتبعون ما تشابه منه ويزعمون أن لهم فى أمر ربهم سبيلاً ولكل دين مجوس وهم مجوس أمتي» أخرجه ابن عساكر، وبقول الرسول ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ أُمَّتِى القدريّة» أي المنكرين للقدر، وفي لفظ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ أُمَّتِى الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ قَدَرَ إِنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلاَ تَشْهَدُوهُمْ». حسن - صحيح الجامع للألباني.

وأكبر دليل على أنّ النّظريّة السّياسيّة الشّيعيّة القائلة بالحقّ الإلهيّ والرّافضة لمبدأ الشّورى نابعة من رؤوس مجوس الكوفة وجنوب العراق الذي يُدعَى تاريخيًّا عراق العجم هو حديث رسول الله ﷺ الصّحيح، الذي أشار فيه إلى أنّ فتنة وقرن الشّيطان وتسعة أعشار الشّر ستأتي من العراق بقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ٱ اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي يَمَنِنَاٱ فَقَالَهَا مِرَارًا ٱ فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ ٱ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِّ وَفِي عِرَاقِنَاٱ قَالَ:إِنَّ بِهَا الزَّلازِلَٱ وَالْفِتَنَٱ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» وزاد في آخره (وبها تسعة أعشار الشّرّ). (السّلسلة الصّحيحة للألباني).

ويتعزّز هذا الفهم بفهم الإمام عليّ ﷺ وأولاده الذين كانوا خير من جسّدوا معاني الإسلام؛ فالإمام عليّ ﷺ الذي تربّى في كنف الوحي الإلهيّ، والرسول ﷺ فهم الإسلام كما فهمه الصّحابة وأهل السّنة، بأن الولاية العامة والخلافة تقوم على أساس الشّورى لا نظريّة الحقّ الإلهيّ المجوسيّة، والدّليل القطعيّ على ذلك ما ورد في كتب الشّيعة نفسها في نهج البلاغة المعتمد عند كلّ فرق الشيعة حيث قال: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشّاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنّما الشّورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان ذلك لله رضًا، فإنْ خرج منهم

خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين وولاّه الله ما تولّى». [نهج البلاغة: ج٣ ص٧].

وقول الإمام علي هذا له عدّة دلالات هامّة منها:

- قناعته بشرعيّة الخلفاء من قبله.

- تأكيده على أنّ الشّورى هي الوسيلة الشّرعيّة التي تقوم عليها الولاية العامّة في المنظور الإسلاميّ، وأنّ هذه الوسيلة (الشّورى) هي لله رضا.

- استنكاره لأيّ خارج على الولاية الشّورويّة ببدعة أو نهج يخالف هذا النهج، بما فيها نظريّة الإمامة والحقّ الإلهيّ المجوسيّة.

فهذا دليل قاطع على أنّ نظريّة الحقّ الإلهيّ الرّافضة لمبدأ الشّورى القرآني لا علاقة لها بالإمام علي ﷺ وإنما هي فكرة مجوسيّة لا علاقة لها بالإسلام، كما أنّ القول المشهور للإمام علي: «اعرفْ الحقَّ تعرف أهلَه». يتناقض مع المذاهب الشّيعيّة كافّة القائمة على أساس «اعرفْ أهل البيت تعرف الحقّ» وهذه المقولة للإمام عليّ وهو الفقيه والعالم استقاها من قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣].

ونجد الإمام زيد بن علي ﷺ يجسّد نفس المعاني الإسلاميّة حيث كان يؤمن بأنّ الولاية تتم بالشّورى، ويقرّ كأبيه بشرعيّة ولاية الخلفاء الرّاشدين بدليل أنه عندما ذهب إلى العراق، والتقى مجوس الكوفة رفض البراءة من الشّيخين أبي بكر وعمر ﷺ عندما طلب منه مجوس الكوفة ذلك، وقال لهؤلاء المجوس: (اذهبوا فأنتم الرّافضة)، فكان أوّل إمام سنّي يطلق على الشّيعة هذا اللّقب (الرّافضة)، وهكذا بذل الإمام زيد بن عليّ ﷺ نفسه من أجل تزكية أبي بكر

وعمر؛ لأنّ الجيش المجوسيّ المحيط به تخلّى عنه عندما رفض البراءة من الشّيخين، وتسبّب ذلك في استشهاده دفاعًا عن الشّيخين.

كما أنّ طلب مجوس الكوفة من الإمام زيد البراءة من الشّيخين دليل آخر أنّ نظريّة الحقّ الإلهيّ في الولاية العامّة للإمام عليّ وأولاده قد نبعت من عند مجوس الكوفة لا من الإمام عليّ وأولاده ﷺ جميعًا الذين كانوا خير من جسّدوا معاني الإسلام كما أوضحت.

كما أنّ إصرار الفرس المجوس على هذه النّظريّة السّياسيّة التي تحصر الحقّ السّياسيّ في الإمام عليّ وأولاده – وهم أهل مطامع سياسيّة كما نعلم – تدلّ على أنّهم انتحلوا هذا النّسب العلويّ بعد مقتل الإمام عليّ، والإمام الحسين، والإمام زيد ليصبح شعار آل البيت وأهل البيت هو الغطاء الشّرعيّ للمطامع السّياسيّة الفارسيّة المجوسيّة، والمفترض أنّ الفرس المجوس يرفضون حصر الإمامة والولاية في العرب، فضلاً عن الإمام عليّ وأولاده لو لم يفكّروا في انتحال هذا النّسب.

ويتعزّز هذا الفهم بحديث الرّسول ﷺ الذي ذكر فيه انتحال المبطلين أي انتحال النّسب النّبويّ الكريم في قوله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» [صحّحه الإمام أحمد – الجامع الكبير للسيوطي].

وقد أكّد علماء الإسلام هذا الانتحال ّ للنّسب العلويّ، من ذلك نسب عبيد الله المهدي مؤسّس الدّولة العبيديّة في المغرب والفاطميّة في مصر حيث ذكروا أنّ عبيد الله المهدي مجوسيّ انتحل النّسب العلويّ كذبًا وزورًا.

وصدق شاعر اليمن أبو الأحرار الشّهيد محمد محمود الزبيري عندما قال:

حاشا لله أنْ يكونوا لطه بل وحاشا أن ينتموا ليزيدِ

لو يصحّ انتسابُهم لعليّ كرّم الله وجهَه في الخلودِ

لاقشعرّت دماؤهم من حياءٍ وأبتْ أن تجري لهم في وريدِ

وليس أدلّ على أنّ هؤلاء الرّافضة المجوس أهل ضلال وانحراف عن جوهر الإسلام من تشكيكهم في أصول الوحي الإلهيّ قرآنًا وسنّة من خلال الطّعن في القرآن، عبر الزّعم بأنّه قد بُدّل وحُرّف، وطعنهم في السّنّة النّبويّة وتكفيرهم وطعنهم في الصّحابة -رضوان الله عليهم- الذين زكّاهم صريح القرآن بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]. والطّعن في نساء النّبيّ ﷺ وعرض رسول الله، وتأويلهم للعقيدة الإسلاميّة تأويلاً إلحاديًّا عبر إنكار ذات الله وصفاته تحت شعار التّنزيه، وتأويلهم للشّريعة الإسلاميّة تأويلاً طاغوتيًّا عبر نظريّة الحقّ الإلهيّ المجافية لمبدأ الشّورى الأصل القرآنيّ القطعيّ.

فمأاذا بقي من الإسلام بعد هذه المطاعن المجوسيّة الرافضيّة في أهم مقاصده وأسسه.

وفي هذا السّياق سأبيّن حقيقة آل البيت بأنّهم الأتباع قيمًا ودينًا، لا نسبًا وطينًا، وسأحشد بإذنه تعالى الأدلّة المتواترة القاطعة الدّلالة من القرآن والسّنّة لهدم بيت العنكبوت.. البيت المجوسيّ الخبيث المنتحل للبيت النبويّ الطيّب كذبًا وزورًا، وصدق الله العظيم القائل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت: ٤١]. والقائل: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [آل‌عمران: ١٧٩].

وصدق شيخ الإسلام الإمام محمد بن علي الشوكاني عندما قال:

الذّنبُ لي عند أهل الرّفض كلِّهمِ أنّي لهدم بيوت الرّفض أحتشدُ

والقائل:

قبيحٌ لا يماثلُه قبيحٌ لعمر أبيك دينُ الرافضين
أباحوا في عليٍّ كلَّ نكرٍ وأخفوا من فضائله اليقينا
وسبّوا لا رُعُوا أصحابَ طه وعادَوا من حذاهم أجمعينا
وقالوا دينُهم دينٌ قويمٌ ألا لعن الإلهُ الكاذبينا

أولاً: المنهجيّة الصّحيحة للفهم والاستدلال

قبل أن أشرع في المناقشة الموضوعيّة للأدلّة الشّرعيّة لموضوع من هم آل البيت وأهل البيت، لا بدّ ابتداء من الاتّفاق على المنهجيّة الصّحيحة للفهم والاستدلال؛ لأنّ الأزمة المعرفيّة التي تعاني منها العقليّة الإسلاميّة اليوم هي أزمة منهجيّة تولّد عنها أزمة معرفيّة، تولّد عنها أزمة تصوّريّة، وهذه الصّدوع التي تعرّضت لها العقليّة الإسلاميّة هي نتاج الهجمة التأويليّة والمعرفيّة المجوسيّة واليهوديّة.

تولّد عن هذه الهجمة الشّرسة ما يمكن تسميته بالعقليّة النّصيّة الجزئيّة لا الكليّة، ونقصد بهذه العقليّة: العقليّة البسيطة غير القادرة على الفهم التحليليّ الاستنباطيّ التركيبيّ العقليّة التي تستخدم ملكة الحفظ أكثر من ملكة الفهم، ولذلك نجدها تتعامل مع النّصوص الشّرعيّة بطريقة مجزّأة كنصوص وليس كمواضيع، في حين أنّ المنهجيّة الصّحيحة لفهم القرآن والسّنة هي البحث فيهما كمواضيع وليس كنصوص مجزّأة بجمع كلّ نصوص الموضوع الواحد في وحدة موضوعيّة واحدة، مع التّمييز بين مراتب الأدلّة موضوع الاستدلال إحكامًا وتشابهًا، يقينًا وظنًّا، قوّة وضعفًا، أصولاً وفروعًا، كلّيات وجزئيّات، سندًا ومتنًا، عامًا وخاصًّا مجملاً ومقيّدًا.

وحتى نصل إلى هذه المعالم المنهجيّة لا بدّ من الاتّفاق على هذه القواعد المنهجيّة للفهم والاستدلال على النّحو التّالي:-

١- لفهم نصوص الوحي فهمًا لا يخلّ بوحدتها الموضوعيّة لا بدّ من الرّبط بين مقاصد الشّريعة وكلّياتها وجزئيّاتها ربطًا يؤدّي إلى تساوق وتوافق هذه المحاور وتولّد بعضها عن بعض لا فهمًا يضرب بعضها ببعض ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٢- وللوصول إلى هذا الفهم الذي يربط بين المقاصد والكليّات والجزئيّات ربطًا متوافقًا غير متخالف لا بدّ أن تكون المقاصد العامّة للإسلام واضحة أمام العالِم.

٣- بعد تحديد المقاصد العامّة للإسلام يتمّ البحث في أصول وكليّات المعاني القرآنيّة (المحكمات) قبل الفرعيّات والجزئيّات (المتشابه)، وحتى نصل إلى هذا الفهم لا بدّ من البحث في نصوص الوحي كموضوعات وليس كنصوص مجزّأة، فأبحث -على سبيل المثال- موضوع الولاية العامّة والخلافة أو موضوع آل البيت كموضوع كلّي.

وفي هذا السّياق يتمّ جمع كافّة النّصوص الواردة في القرآن والسّنة المتعلّقة بالموضوع ثمّ فهمها فهمًا متوافقًا كوحدة موضوعيّة واحدة، يفسّر بعضها بعضًا لا فهمًا متضاربًا متعارضًا بين نصوص الموضوع الواحد.

٤- بعد جمع أدلّة الموضوع الواحد يجب التّفريق بين أصول معاني الموضوع (المحكمات) وفروعه (المتشابهات)؛ لأنّ لكلّ علم وموضوع قواعد وأصول وجزئيّات وفروع، ولا يمكن الوصول إلى الفهم المحكم لأدلّة الموضوع الواحد إلاّ إذا تمّ تحديد أصول الموضوع أولاً، ثمّ تركيب فروع الموضوع على أصوله؛ لأنّ منشأ التّشابه يأتي من الاستشهاد بالأدلّة الفرعيّة قبل أصولها.

٥- بعد البحث الكلّي عن موضوع معيّن في القرآن والفراغ من تحديد أصوله وفروعه أقوم بعرض هذا الموضوع الكلّي على المقاصد العامّة للتأكد من عدم فهم هذا الموضوع بما يعارض المقاصد العامّة.

٦- لابدّ من التّفريق بين نصوص الوحي كتابًا وسنّة من حيث حجّيّتها وبين فهوم العلماء لها؛ فالقداسة إنّما هي ثابتة للوحي المعصوم قرآنًا معصومًا وسنّة معصومة بالقرآن، أمّا فهوم العلماء فهي عرضة للخطأ في الفهم بحكم بشريّتهم وعرضة للتأثّر والتأطّر بخصوصيّة الواقع الظّرفيّ زمانًا ومكانًا، وبالتّالي فلا يمكن سحب قداسة الوحي على فهومهم، ولا تبرز حجّيّتها إلاّ بإسناد فهمهم بدليل من الكتاب والسّنّة لقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

٧- في إطار نصوص الوحي لابدّ من التّفريق بين ما هو نصّ قرآنيّ ونصّ لحديث نبويّ؛ فالقرآن مقدم في الاعتبار على السّنّة النّبويّة سندًا ومتنًا؛ لأنّ القرآن قطعيّ يقينيّ والسّنّة النّبويّة الصّحيحة الأحاديّة باستثناء المتواترة ظنّيّة، كما قرّر ذلك علماء الحديث والفقه.

٨- ونصوص السّنّة الأحاديّة الصّحيحة السّند متّفق على العمل بها ما لم تصادم وتخالف وتناقض نصوص القرآن ومقاصد الشّريعة، وعند حدوث التّعارض بين نصوص القرآن ونصوص السّنة يتمّ العمل بالمبدأ الأصوليّ المعروف (مبدأ التّعارض والتّرجيح) أي العمل بقاعدة الموازنة بين الأدلّة والتّرجيح؛ أيْ نسعى للتّوفيق بين نصّ الحديث ونصّ القرآن، ولو أدّى الأمر -كما يقول علماء الأصول- إلى الأخذ بالمفهوم المرجوح وترك المفهوم الراجح للحديث النّبويّ ليوافق النّصّ القرآنيّ فإن استحالت عمليّة التّرجيح تمّ ردّ الحديث المعارض للقرآن، كما قرّر ذلك علماء الأصول، على رأسهم الإمام الشّاطبيّ في كتابه الموافقات

وكيف أنّ أم المؤمنين عائشة ﵂ ردّت حديث رسول الله ﷺ الصّحيح السّند الضّعيف المتن (إنّ الميّت ليُعذّب ببكاء أهله) لتعارضه مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وكما قرّر ذلك علماء الحديث على رأسهم الإمام البخاري؛ فقد أورد في صحيحة أنّ عائشة ردّت هذا الحديث لتعارضه مع القرآن بالرّواية التّالية: «فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ: وَا أَخَاهُ، وَا صَاحِبَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ ﵁: يَا صُهَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ؟! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄: فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ ﵁ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ ﵂ فَقَالَتْ: رَحِمَ اللهُ عُمَرَ، وَاللهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ اللهَ لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄ عِنْدَ ذَلِكَ: وَاللهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى» (٥)(٣٣).

وقد أكّد الشيخ الألباني المحدّث المعاصر الشّهير في كتابة الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات بأنّ صحّة السّند لا تستوجب صحّة المتن، وأنّ هذه قاعدة مشهورة عند علماء الحديث بقوله: «المقرّر في علم مصطلح الحديث أنّ صحّة الحديث لا يستلزم صحّة المتن لعلّة فيه خفيّة أو شذوذ من أحد رواته».

وذكر ابن القيّم في كتابه (المنار المنيف في الصّحيح من الضّعيف) أمورًا كليّه يعرف بها كون الحديث موضوعًا منها مخالفة الحديث لصريح القرآن.

وقد جاء ابن القيّم بأمثلة كثيرة منها:

* مقدار الدّنيا (٧٠٠٠) سنة، وهذا يُخالف القرآن ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: ١٨٧].

* لا يدخل الجنّة ولد الزنا وهو يُخالف: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال ابن الجوزي: (إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع). (الموضوعات لابن الجوزي- تدريب الرّاوي للسيوطي ٢٧٤).

وأنا أوافق ابن الجوزي في مخالفة الحديث للمنقول؛ أيْ القرآن، ولا أوافقه في مخالفة المعقول بشكل مطلق؛ لأنّ مخالفة المعقول أمر نسبيّ من إنسان إلى آخر؛ فقد يتوهّم المرء مخالفة الحديث للمعقول وهو غير مخالف، إلاّ ما ثبت قطعيًّا في مخالفة المعقول على ضوء القاعدة التي قرّرها ابن تيميّة رحمه الله في أنّ صحيح العقل لا يتعارض مع صحيح النّقل.

كما أنّه من المعلوم أنّ الإمام مالك رضي الله عنه الفقيه والمحدّث المعروف صاحب كتاب الموطّأ كان يقدّم عمل أهل المدينة على خبر الآحاد، فضلاً عن تقديم المعنى القرآنيّ على الحديث النبويّ الآحاديّ إذا تعارض معه، وإلى هذا المعنى أشار ابن تيميّة بقوله: «(وَلا تُعَارَضُ السُّنَّةُ بِإِجْمَاعٍ وَأَكْثَرُ أَلْفَاظِ الْآثَارِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَالطَّالِبُ قَدْ لا يَجِدُ مَطْلُوبَهُ فِي السُّنَّةِ، مَعَ أَنَّهُ فِيهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ، فَيَجُوزُ لَهُ إِذَا لَمْ يَجِدْهُ فِي الْقُرْآنِ أَنْ يَطْلُبَهُ فِي السُّنَّةِ، وَإِذَا كَانَ فِي السُّنَّةِ لَمْ يَكُنْ مَا فِي السُّنَّةِ مُعَارِضًا لِمَا فِي الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ الإِجْمَاعُ الصَّحِيحُ لا يُعَارِضُ كِتَابًا وَلا سُنَّةً» مجموع الفتاوى. (٤)(٢٠٨).

الأصول المحكمة المتعلّقة بمفهوم أهل البيت، وآل البيت في القرآن بعد بيان معالم منهج الاستدلال والفهم للوحي، وأهميّة الصّدور في التّعامل مع نصوص الوحي عن رؤية كلّيّة شموليّة- تدخل جزئيّات الشّريعة ضمن كلّيّاتها، وتدرج كلّيّات الشّريعة تحت مقاصدها؛ ليتشكّل من هذا التّرابط نسيج محكم يتحقّق من خلاله التّوافق الموضوعيّ للنّصوص، وبيان محاذير الاستدلال المجزَّأ للنّصوص الذي قد يؤدّي إلى تعارض النّصوص بعضها مع بعض، وإلى فهم بعض النّصوص الجزئيّة فهمًا س طحيًّا مباشرًا يطوّح بمقاصد الدّين وغاياته ومراميه.

لنحاول انطلاقًا من هذه المنهجيّة فهم النّصوص المتعلّقة بموضوع آل البيت في القرآن والسّنة بما يؤدّي إلى إبراز هذا الموضوع في وحدة موضوعيّة متكاملة عبر طرح المحكم في هذا الموضوع وأمّهات المعاني ثم مناقشة الأدلّة الفرعيّة في ضوء الأصول المحكمة، وإذا حصل أيّ تعارض بين الأدلّة الفرعيّة والأصول المحكمة أعملنا القاعدة الأصوليّة (قاعدة التّعارض والتّرجيح) لإيجاد التّوافق بين نصوص السّنة ونصوص القرآن المحكمة، وما لم فالاعتبار يكون للنّصوص القرآنيّة المحكمة على النحو التّالي:-

(١) نسب الدّم والطّين ونسب الإيمان والدّين:

من المعلوم أنّ كلمة بيت وأخ وأب وأم وآل وأهل وعترة تُطلق في الاستخدام اللّغويّ والعرفيّ، ويُقصد بها نسب الدّم والطّين، لكن المتدبّر في القرآن والسّنة سيجد أنّ القرآن قد استخدم هذه المصطلحات (بيت – أخ – أب – أم – آل – أهل) استخدامًا شرعيًّا ترتّب على هذا الاستخدام القرآنيّ نسب وآصرة دينيّة لا نسب وآصرة طينيّة بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. فهذه الآية صريحة الدّلالة في اعتبار المؤمنين إخوة دينًا، مع أنّ المألوف أنّ هذا التعبير (أخ) لا تُطلق إلاّ على الأخوّة من القرابة والدم لا من الإيمان والقيم، ولم يكتفِ القرآن بالتّأكيد على أنّ المؤمنين إخوة، وإنّما أطلق على نساء النّبيّ ﷺ أمّهات المؤمنين بصريح قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. وبهذا يمكننا القول بأنّنا أمام معادلة كالمعادلة الرياضيّة فنقول: «ما دام المؤمنون إخوة وأزواج النّبيّ ﷺ أمّهاتهم؛ إذًا فالنّبيّ ﷺ أبو المؤمنين أبوّة دينيّة لا طينيّة»، ويتعزّز هذا الفهم بأنّ النّبيّ ﷺ أبو المؤمنين دينًا لا طينًا بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. فصريح القرآن جعل النّبيّ ﷺ وليّ أمر المؤمنين؛ فكأنّ المقصود بالتّعبير هذا

هو تقرير أبوّة محمد ﷺ للمؤمنين، ويتعزّز هذا الفهم بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن بقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾.

ومن المعلوم أنّ الأب في إطار الأسرة يُسمّى وليّ الأمر وربّ البيت، فكلمة (أب – ووليّ – وربّ البيت) تُطلق في اللّغة العربيّة بمعاني مترادفة، ويتعزّز هذا الفهم بقوله تعالى في سياق إبراهيم عليه السلام عندما ادّعى اليهود أنّهم آل بيته دمًا وطينًا، فجاء القرآن، وردّ على اليهود بأنّ أولى النّاس بإبراهيم هم محمد ﷺ والمؤمنين، وليس اليهود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل‌عمران: ٦٨]. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ مطابقة لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

ولـمّـا كان القرآن قد أطلق على إبراهيم صفة الأبوّة للمسلمين «أبوّة الدّين لا أبوّة الطّين» في قوله تعالى: «مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ»، فهذه آية قرآنيّة تدلّ على أنّ الـمقصود بالـمصطلح القرآنيّ (أولى) في سياق إبراهيم و(أولى) في سياق محمد ﷺ أبوّة الدّين لا أبوّة الطّين.

وبهذا نخلص إلى معنى هامّ، وهو أنّ كلمة أهل وآل إذا كانت في الـمصطلح اللّغويّ والعرفيّ تُطلق على نسب الطّين إلاّ أنّ القرآن في الـمصطلح الشّرعيّ قد نقل آصرة النّسب من الطّين إلى الدّين، فاعتبر الـمؤمنين إخوة، وزوجات النّبيّ ﷺ أمّهاتهم والنّبيّ ﷺ أبوهم دينًا لا طينًا.

وبهذا يتّضح أنّ أهل البيت وآل البيت في الـمنظور القرآنيّ هم الـمنتسبون إلى الرّسول محمد ﷺ دينًا (الـمؤمنون) لا الـمنتسبون للرّسول ﷺ طينًا (بنو هاشم).

ويتعزّز هذا الفهم بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١].

فهذه الآيات البيّنات أكّدت أنّ معيار الحساب يوم القيامة هو العمل الصّالح لا الأنساب ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، وقد يقول قائل: إنّ هذه الآية النّافية للأنساب هي في الآخرة، وليس في الدّنيا فنقول لهم الآية في هذا الموضع تتحدّث عن الحساب يوم القيامة وحساب يوم القيامة إنما هو محصّلة لأعمال النّاس في الدّنيا إنْ خيرًا فخير وإن شرًا فشرّ بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]. ويتأكّد هذا الفهم بقول الرّسول ﷺ: «لا يأتيني النّاس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم»، وقول الرّسول: ﷺ فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسيّ: «يقول الله يوم القيامة أيّها النّاس إنّي جعلتُ نسبًا، وجعلتم نسبًا، فجعلتُ أكرمكم عند الله أتقاكم، فأبيتم إلاّ أن تقولوا: فلان بن فلان وفلان أكرم من فلان، وإني اليوم أرفع نسبي، وأضع نسبكم. ألا إنّ أوليائيَ المتّقون». (المعجم الصغير – الطبراني).

وحديث الرّسول ﷺ الصّحيح عن عَبْدَ اللهَّ بْنَ عُمَرَ قال: «كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللهَّ، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهَّ، وَمَا فِتْنَةُ الأَحْلاسِ؟ قَال: هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ». [رواه أبو داود وأحمد وصحّحه الألباني].

(٢) قصّة نوح والمعنى الشّرعيّ لأهل نوح:-

ويتعزّز الفهم السّالف لمفهوم أهل البيت في المنظور القرآنيّ إلى درجة القطع في قصّة نوح عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا

لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٥-٤٧].

فنجد صريح القرآن في هذا السّياق يؤكّد بدلالة قطعيّة مفهوم أهل البيت في القرآن بأن أهل البيت هم المنتسبون للأنبياء دينًا وعملاً صالحًا وإيمانًا، لا المنتسبون دمًا وعرقًا وسلالة؛ فمن المعلوم أنّ ابن نوح من أهله دمًا في الاستخدام المتعارَف عليه عند النّاس وفي اللّغة، ولكنّ القرآن ينفي هذه الصّفة عنه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ ودليل النّفي في هذا المقام أقوى من دليل الإثبات، وزيادة في التّحذير القرآنيّ جاء قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وبهذا نفهم أنّ كلّ من أثبت معنى أهل البيت بنسب الطّين ونفى نسب الدّين قد قال في هذا الأمر بغير علم، ثم يشدّد القرآن على نوح بقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وكلمة الجاهلين في هذا السّياق تتجاوز معنى الجهل إلى معنى الجاهليّة؛ أيْ أهل الجاهليّة، وأهل الجاهليّة هم أهل العصبيّة الجاهليّة الذين قال فيهم الرّسول ﷺ بأحاديث صحيحة: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ» (دعوها فإنّها منتنة).

(٣) وحدة الأصل البشريّ:

الزّاعمين بأحقيّتهم بالولاية بدعوى أنّ لهم نسبًا يرتبط بالنّبيّ ﷺ نردّ عليهم بدليل قطعيّ قرآنيّ وهو التّأكيد الإلهيّ في القرآن بأنّ البشريّة تتحدّر من أصل واحد؛ فكلّ البشريّة تعود بجذورها إلى أبينا آدم عليه السلام أيْ أنّ البشريّة في المنظور القرآنيّ ليسوا أمّة واحدة وشعبًا واحدًا فحسب، بل هم أسرة واحدة وبيت واحد بيت آدم عليه السلام والأدلّة القرآنيّة المؤكّدة بأنّ البشريّة تتحدّر من أصل واحد ونفس واحدة هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ [النساء: ١]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ۝٩٨﴾ [الأنعام: ٩٨]. وقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الزمر: ٦]. فهذه الآيات البيّنات أكّدت بدلالة قطعيّة وحدة الأصل البشريّ؛ فكلّهم يرجعون لآدم عليه السلام.

ولذلك نجد القرآن في خطابه للبشريّة يستخدم هذا النّداء (يَا بَنِي آدَمَ) تأكيدًا لهذه المعاني من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠﴾ [يس: ٦٠]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن هذا المنطلق نقول: إنّ الزّاعمين بأحقيّتهم في الولاية بدعوى النّسب المرتبط بالرّسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم مردود عليهم بقاعدة وحدة الأصل البشريّ، وأنّ كلّ البشريّة ينتسبون إلى أبينا آدم عليه السلام فإذا كان للانتساب بالرّسل ميزة؛ فهذه الميزة يشترك فيها كلّ البشر مسلمهم وكافرهم؛ فكلّ البشريّة هم آل آدم، وأهل بيته عليه السلام وآدم هو نبيّ الله ورسوله، وبهذه الحقيقة القرآنيّة القاطعة تنقطع دعوى كلّ لسان يدّعي الأفضليّة العنصريّة بالتّحدّر من سلالة نبيّ ورسوله، والزّعم بأنّها سلالة مقدّسة والآخرون سلالة مدنّسة، وأنّ هذه السّلالة المقدّسة هي سادة البشر لهم السّلطة والعلم والثروة، وأنّ بقيّة البشر خُلقوا لهم عبيدًا وخدمًا.

ونجد السّنة النّبويّة مطابقة للقرآن في التّأكيد على وحدة الأصل البشريّ، وأنّ معيار التّفاضل ليس قائمًا على الأنساب بل على التّقوى في حديث الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم «يا أيّها النّاس: إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلاّ بالتّقوى». رواه الإمام البيهقي، من حديث جابر رضي الله عنه.

وكذلك روى أحمد في المسند (٢ / ٣٦١ ح٨٧٢١) عن أبي هريرة بلفظ: «إنّ الله ﷻ قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقيّ وفاجر شقيّ، والنّاس بنو آدم وآدم من تراب، لينتهينّ أقوام فخرهم برجال أو ليكوننّ أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النّتن»..

والحديث القدسيّ الذي أوردناه سابقًا: «قول الله يوم القيامة أيّها النّاس إني جعلتُ نسبًا، وجعلتُم نسبًا، فجعلتُ أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم إلاّ أن تقولوا: فلان بن فلان، وفلان أكرم من فلان، وإنّي اليوم أرفع نسبي، وأضع نسبكم، ألا إنّ أوليائيَ المتّقون».

فكلّ هذه الأحاديث أكّدت وحدة الأصل البشريّ وأفضليّة التّقوى، وقول الرّسول ﷺ: «وإنّي اليوم أرفع نسبي، وأضع نسبكم، ألا إنّ أوليائيَ المتّقون» تأكيد لما أسلفته من أنّ هناك نسب دينٍ ونسب طين.

الأصول المحكمة المتعلّقة بمفهوم أهل البيت وآل البيت في القرآن

(٤) المعنى المحكم لآل البيت في القرآن بأنّهم الأتباع:-

لو تدبّرنا القرآن لوجدنا المعاني القرآنيّة تتواتر في تقرير وتأكيد نسب الدّين وإلغاء نسب الطّين، من ذلك مصطلح آل البيت فهو يردّ في القرآن بمعنى الأتباع من المؤمنين وليس بالمعنى السّلاليّ العنصريّ:-

- ففي سياق ادّعاء اليهود بأنّهم آل إبراهيم سلالة وعرقًا ناقش القرآن هذه الدّعوى، ونفى أنّهم آل إبراهيم، مع أنّهم من سلالته فعلاً، وقرّر أنّ أولى النّاس بإبراهيم هم أتباعه من المؤمنين على رأسهم محمد ﷺ بما يؤكّد بدليل قرآنيّ قطعيّ أنّ الآل هم الأتباع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل‌عمران: ٦٨]. فقوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ دليل قطعيّ قرآنيّ بأنّ آل إبراهيم وأولى النّاس به

هم أتباعه من المؤمنين لا اليهود المنتسبون إليه دمًا وعرقًا، وصدق عالم اليمن الجليل نشوان بن سعيد الحميري عندما قال:

آل النّبيّ هم أتباع ملّته من الأعاجم والسّودان والعربِ
لو لم يكنْ آله إلاّ قرابتَه صلّى المصلي على الطّاغي أبي لهب

– ويتعزّز هذا الفهم بأنّ الآل في القرآن تأتي بمعنى الأتباع بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤﴾ [القمر: ٣٣-٣٤].

فالآل هنا وردت بمعنى أتباع لوط من المؤمنين؛ لأنّ النّجاة في المعيار القرآنيّ لا تكون إلاّ للمؤمنين الأتقياء، ولأنّنا إذا تتبّعنا السّياق الموضوعيّ لمن يستحقّون النّجاة سنجد الآيات تتوالى وتؤكّد أنّ النّجاة لا تكون إلاّ للمؤمنين الأتقياء لقوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾ [النمل: ٥٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨﴾ [هود: ٥٨]. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ۝٦٦﴾ [هود: ٦٦].

و إذا كانت الآيات في قصّة نوح قد أثبتت أنّ الأهل هم أهل الإيمان والعمل الصّالح، وفي قصّة إبراهيم أنّ الآل هم أيضًا الأتباع من المؤمنين، فإنّ قصّة لوط قد جمعت بين المعنيين الآل

والأهل بمعنى المؤمنين ونسب الدّين لا نسب الطّين في قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ [النمل: ٥٦-٥٧].

ففي هاتين الآيتين نجد دلالة قطعيّة بأنّ الآل هنا المقصود بها الأتباع من المؤمنين للوط، ثم نجد الآية التي تليها تستخدم مصطلح الأهل بمعنى الآل، وفي كلا المعنيين المقصود هم المؤمنون المتطهّرون.

ويتعزّز هذا الفهم باستثناء زوجة لوط، مع أنّها من أهله صهرًا؛ لأنّ عملها غير صالح.

فالقرآن الذي أكّد أنّ ابن نوح ليس من أهله ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]. أكّد أنّ زوجة لوط ليست من أهله؛ لأنّ عملها غير صالح ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف: ٨٣].

ويتعزّز هذا الفهم بأنّ زوجة لوط عملت عملاً غير صالح بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن بقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

- ويتعزّز هذا الفهم بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن، باستخدام القرآن لمصطلح الآل في سياق فرعون، فمن المعلوم أنّ فرعون لم ينجب، وزوجته كانت امرأة صالحة، ومع هذا استخدم القرآن مصطلح آل فرعون في سياق أتباعه من جنوده بأدلة قرآنيّة صريحة قطعيّة الدّلالة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة: ٤٩]. فصريح القرآن استخدم كلمة آل فرعون، مع أنّ فرعون ليس له أولاد وإنّما جنود وأتباع.

والذي يؤكّد أن المقصود بآل فرعون أتباعه وجنوده بمنهجية تفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة: ٥٠]. فهذه الآية أكّدت أنّ آل فرعون أغرقوا في البحر، والدّليل بأنّ الذين أغرقوا في البحر

جنوده بمنهجيّة تفسير النّصّ بالنّصّ قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾ [طه: ٧٨]. فهذه دلالة قطعيّة بأنّ آل فرعون هم جنوده وأتباعه.

ويتعزّز هذا الفهم بحديث الرّسول ﷺ عن أنس بن مالك: سُئل رسول الله ﷺ: من آل محمد؟ قال: (كلّ تقي) وتلا رسول الله ﷺ: «إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الـمتَّقُونَ»؛ فهذا الحديث وإن ضعف سنده، إلاّ أنه صحيح الـمتن؛ لأنّه تعزّز بقوّة النّص القرآنيّ، فإذا كان الحديث يتعزّز عند علماء الحديث بروايته من طرق أخرى، فيقولوا صحيح لغيره، أفلا يتعزّز متن الحديث بالنّص القرآنيّ، وكذلك حديث الرسول ﷺ «سلمان منّا آل البيت»، مع أنّ سلمان ﷺ فارسيّ الأصل، إلاّ أنّه انتسب لبيت النّبوّة دينًا لا طينًا، وهنا تبرز عظمة الإسلام الذي جمع بين صهيب الرّوميّ، وسلمان الفارسيّ، وبلال الحبشيّ، وأبو بكر الصّدّيق العربيّ على خيريّة القيم والدّين لا خيريّة النّسب والطّين.

وقد رجح هذا الرّأي بأنّ الآل هم الأتباع الإمام النوويّ في شرحه على صحيح مسلم حيث قال ما نصّه: «واختلف العلماء في آل النّبيّ ﷺ على أقوال، أظهرها وهو اختيار الأزهريّ وغيره من الـمحقّقين أنّهم جميع الأمّة».

(٥) ما الـمقصود بقولنا في التّشهد «اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»:

أقول: إنّ الـمتدبّر للقرآن سيجد أنّ معنى الآل الوارد في سياق الصّلاة على النّبيّ الذي نردّده في التّشهد الأوسط عند كلّ صلاة هم الـمؤمنون، وليس الـمقصود بآل محمد ﷺ بني هاشم.

والدّليل القرآنيّ القاطع هو قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣]. فهذه الآية وجّهت الخطاب بدلالة صريحة قطعيّة للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ولم يتوجّه الخطاب القرآنيّ يا بني هاشم، وفي سياق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) جاء قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ إذًا فالصلاة من الله والملائكة هي للمؤمنين وليست لبني هاشم، ويتعزّز هذا الفهم بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ولم يرد في الآية، وكان الله ببني هاشم رحيمًا.

فهذه دلالة قطعيّة قرآنيّة أنّ قولنا «اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» أن المقصود بالآل هنا هم المؤمنون أيْ الأتباع من المؤمنين، وليس آل محمد نسبًا وعرقًا وعصبيّة.

وعلى الرّغم من أنّ الآية السّالفة كافية في بيان معنى الآل في التشهّد وقطعيّة الدّلالة، إلاّ أنّني سأؤكّد هذا المعنى من زاوية أخرى، وهي أنّنا لو افترضنا أنّ المقصود بالآل السّلالة والعرق فإنّ معنى التّشهّد عندئذ سيصبح على النحو التّالي «اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد». آل محمد بنو هاشم برّهم وفاجرهم، وقولنا: «كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» فإنّ آل إبراهيم هنا هم اليهود، وبهذا التّفسير العنصريّ لمعنى الآل سيكون معنى التّشهد أنّ المؤمنين قد خرجوا من هذا الدّعاء، وأنّهم يلهجون بالدّعاء لبني هاشم برّهم وفاجرهم، ولبني إسرائيل المغضوب عليهم، ومثل هذا الفهم يصادم ثوابت القرآن والسّنة.

ويتعزّز هذا الفهم بأنّ المقصود بآل إبراهيم بني إسرائيل إذا فهمنا الآل بمعنًى عرقيّ ما ورد في القرآن من ردّ في سياق اليهود الزّاعمين أنّهم آل إبراهيم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل‌عمران: ٦٨]. فقد نفت الآية ارتباط اليهود بإبراهيم مع أنّهم من نسله، وأثبتّ أنّ أولى النّاس به وآله هم أتباعه محمد ﷺ والمؤمنين.

آل البيت والتّأويل المجوسيّ للإسلام

الأصول المحكمة المتعلّقة بمفهوم أهل البيت وآل البيت في القرآن

(٦) مفهوم أهل البيت وآل البيت في السّنّة النّبويّة:

بعد إيرادي للأدلّة القرآنيّة المتواترة القطعيّة الدّلالة لا الظّنيّة سأستشهد بأحاديث من السّنّة النّبويّة مؤكّدة للمعاني القرآنيّة السّالفة، مع العلم أنّ القرآن مقدّم في الاعتبار على السّنّة، فإذا وردت أدلّة من السّنّة موافقة له تعزّزت هذه المفاهيم بالقرآن والسّنّة، ولا بدّ من الإشارة في هذا المقام إلى أنّنا عندما نورد دليلاً من السّنّة، ويكون هذا الدّليل موافقًا لمعنى موجود في القرآن؛ فإنّ دليل السّنّة يتعزّز بقوّة النّصّ القرآنيّ، فإذا كان الحديث حسن السّند أو ضعيف السّند، وجاء متنه مطابقًا لنصّ قرآنيّ فإنّ الحديث يصبح صحيحًا لغيره؛ لأنّه إذا كان علماء الحديث يعزّزون صحّة الحديث إذا كان ضعيفًا أو حسنًا إذا وردت رواية أخرى صحيحة مؤكّدة لمعنى الحديث الضّعيف، فيطلقون على الحديث الضّعيف المعزّز برواية أخرى صحيح لغيره، فإنّه من باب الأولى أن يتعزّز متن الحديث الصّحيح أو الحسن أو الضّعيف بمتون النّصوص القرآنيّة.

وسأورد في هذا المقام أحاديث صحيحة السّند موافقة لمتون النّصوص القرآنيّة على النّحو التالي:-

١- يقول الرّسول ﷺ في الحديث الصّحيح «إنّ أهل بيتي هؤلاء يرون أنّهم أولى النّاس بي، وإنّ أولى النّاس بي المتّقون من كانوا وحيث كانوا، اللهمّ إنّي لا أحلّ لهم فساد ما أصلحت، وأيم الله، ليكفؤون أمتي عن دينها كما يُكفَأ الإناء في البطحاء» إسناده صحيح ورجاله كلّهم ثقات -تحقيق الألباني-.

ولو تدبّرنا معنى هذا الحديث الصّحيح السّند الصّحيح المتن لموافقته للنّصوص القرآنيّة السّالفة لوجدناه يؤكّد عدّة معاني هامّة:

أ- أنّه وإن كان أهل البيت من النّسب والطّين، إلاّ أنّ أولى النّاس بالرّسول ﷺ هم المتّقون، وهذا تأكيد من السّنّة الصّحيحة إلى أنّ أولى النّاس بمحمد ﷺ هم المتّقون، وأنّ أهل بيته وآله هم المتّقون.

ب- الحديث لم يكتفِ بتقرير مفهوم أهل البيت وآله في المتّقين من كانوا وحيث كانوا، بل وصف الزّاعمين بأنّهم أولى النّاس بمحمد ﷺ، وبالتّالي لهم حقّ احتكار الولاية والسّلطة والثّروة والعلم وصف الرّسول ﷺ المدّعين هذا الادّعاء بأنّهم سيفسدون ما أصلحه من تقرير قاعدة المساواة بين النّاس، وأنّ أكرم النّاس هم المتّقون وليسوا بنيهاشم، وأنّ المتّقين هم الأولى بالحقوق السّياسيّة والاجتماعيّة من الذين يفسّرون الدّين تفسيرًا عنصريًّا، فوصفهم بأنّهم سيفسدون ما أصلحه دليل قويّ على إدانة الرّسول ﷺ لمثل هذا التّأويل العنصريّ للدّين.

ج- ولم يكتف هذا الحديث النّبويّ بوصف الزّاعمين أنّهم أولى النّاس بمحمد ﷺ نسبًا وطينًا بأنّهم سيفسدون ما أصلحه عبر تقرير الرّسول ﷺ لمساواة النّاس في الحقوق السّياسيّة والاجتماعيّة، بل وصفهم بأنّهم سيخرجون النّاس عن حقيقة دينهم، كما يُكفأ الإناء في الصّحراء، فماذا سيقول دعاة التّأويل العنصريّ للدّين بعد هذه المحكمات من القرآن والسّنّة، وهذا الحكم الصادر عن الرّسول ﷺ فيه إدانة خطيرة.

٢- حديث الرسول ﷺ «فتنة السّراء دخنها من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنّه منّي وليس منّي وإنّما أوليائي المتّقون» حديث صحيح صحّحه الألباني في سلسلته الصّحيحة (صحيح الجامع) رقم(٤١٩٤).

فهذا الحديث الصّحيح يؤكّد بجلاء مفهوم أهل البيت بنفس المفهوم الوارد في القرآن؛ بأنّ أهل بيت رسول الله هم المتّقون، ولم يكتفِ بذلك، بل أنكر مفهوم أهل البيت بالنّسب والطّين «يزعم أنّه منّي وليس منّي».

ولم يكتفِ الحديث بذلك، بل وصف التّأويل العنصريّ للإسلام بأنّه فتنة بنفس الوصف القرآنيّ لأهل الزّيغ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل‌عمران: ٧].

(٧) معيار التّكريم والرّفعة والعزّة في القرآن هو التّقوى والعلم والإيمان وليس النّسب:

لو تدبّرنا هذه المعاني القرآنيّة الهامّة (التّكريم – الرّفعة – العزّة) لوجدناها في القرآن قائمة على أساس التّقوى والعلم والإيمان، وهي معايير كسبيّة يمكن للنّاس أن يتسابقوا على تحصيلها.

ولم يجعل القرآن معايير التّكريم والرّفعة والعزّة معايير قسريّة ترتبط بالنّسب أو اللّون أو العرق أو القوم والوطن؛ فليس بيد الإنسان أن يحدّد عرقه أو لونه أو قومه، ولذلك لم يجعل الله من عدالته هذه المعايير القسريّة (العرق – اللّون – الوطن – القوم) معيارًا للتّكريم والرّفعة والعزّة:

معيار التّكريم في القرآن:

التّكريم في القرآن تكريمان: تكريم فطريّ وتكريم شرعيّ.

فالتّكريم الفطريّ جعله الله لكافّة بني آدم بتكريمهم بالعقل والإرادة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠]. فهذه الآية بدلالة صريحة فيما يتعلّق بالتّكريم الخلقيّ

أوضحت أنّ الله قد جعل الكرامة لبني البشر كافّة، لكنّ التّفسير العنصريّ الشيعيّ والتفسير العنصريّ اليهوديّ قد حصر التّكريم الخلقيّ في بني إسرائيل وبني هاشم.

أما التّكريم الشّرعيّ المطابق للفطرة فقد جعله الله معيارًا كسبيًّا لا قسريًّا وهو معيار التّقوى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

كما صرّح القرآن برفض التّكريم القائم على الأساس العنصريّ من خلال إسناد الخلافة لآدم في الأرض، ونزعها عن الشّيطان عندما استكبر، ورفض القرار الإلهيّ بتعيين آدم خليفة في الأرض؛ بدعوى أفضليّته العنصريّة كون آدم خُلق من طين، والشّيطان من نار في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢].

مفهوم الرّفعة في القرآن:

بحسب التّأويل العنصريّ الشّيعي للإسلام يصبح مفهوم الرّفعة في القرآن خاصًا ببني هاشم وآل البيت وقائمًا على أساس النّسب والهبوط والذّلّة لغيرهم.

لكنّنا نجد معيار الرّفعة في القرآن درجات والهبوط دركات مرتبطًا بمعايير كسبيّة يمكن أن يتسابق النّاس عليها وهي الإيمان والعلم والعمل الصالح لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]. وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠]. فنظام الخدمة المدنيّة في القرآن له درجات وله دركات، وهذه الدّرجات والدّركات ليست قائمة على أساس عنصريّ، وإنّما على أساس إيمان وعلم وتقوى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى

جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

معيار العزّة في القرآن:

العزّة والذّلّة في القرآن قائمة على أساس الإيمان والعمل الصالح، وليس على أساس عنصريّ لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨]. فصريح هذه الآيات جعل العزّة للمؤمنين، وليس لبني هاشم، أو سلالة ونسب معيّن، وجعل معيار هذه العزّة والرّفعة الطيّب من الأقوال والأفعال، وليس الطيّب نسبًا.

الأصول المحكمة المتعلّقة بمفهوم أهل البيت وآل البيت في القرآن

(٨) خيريّة القرآن وعنصريّة الشّيطان:

إنّ المتدبّر للقرآن سيدرك أنّه لم يكتفِ بجعل أساس الخلافة في الأرض هو الإيمان والعمل الصّالح، بل النّهي القرآنيّ الصّريح عن أيّ نظام سياسيّ أو ولاية عامة أو خلافة تقوم على أساس عنصريّ سلاليّ استكباريّ استعلائيّ، بحيث يحتكر الخلافة والولاية العامّة على أساس الأفضليّة العنصريّة ويقسم المجتمع إلى طبقتين:

- طبقة السّادة المستكبِرين.
- طبقة العبيد المستضعَفين.

هذه المعاني يمكن فهمها بجلاء من خلال قصّة آدم واستخلافه في الأرض، وموقف الشّيطان من هذا الاستخلاف هذه القصّة التي أخذت مساحة واسعة في القرآن لنأخذ منها الدّروس والعبر في سياق الخلافة، والحقوق السّياسيّة، والولاية العامّة على النّحو التّالي:

لو تأمّلنا في قصّة إبليس وآدم عليه السلام لوجدنا أنّ غضب الله على الشّيطان وطرده من رحمته لم يكن بسبب كفره بالله، بل بسبب كِبره واعتداده بأصله وعنصره ونسبه، وقد عدّ الله الكِبر المتولّد عن النّزعة العنصريّة والافتخار بالنّسب سببًا لكفر إبليس.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

- ولو بحثنا عن سبب كِبره لوجدناه كِبرًا يرتبط بدعوى أفضليّة الأصل والعرق والافتخار بالنّسب والمحتد: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٢-١٣].

- وقد جاء تمرّد الشّيطان وكِبره واستعلاؤه واعتداده بأصله وعنصره ونسبه في سياق الرّفض للقرار الإلهيّ بتعيين آدم خليفةً في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

- ومفهوم(خليفة) بالمصطلح القرآنيّ مفهوم سياسيّ، يُقصد به الزّعامة أو الرّئاسة أو الإمامة؛ لأن الإمامة في القرآن مشتقّة من الأمام أيْ الشّخص الذي يتقدّم النّاس وهو الزّعيم أو الرّئيس، والإمامة في القرآن هي إمامة هدًى، وإمامة ضلال، نقول ذلك؛ لأنّ الأئمّة الذين حكموا في اليمن ألف عام قد شوّهوا هذا المصطلح، فَهُم أئمّة ضلال، ولكن هذا لا يمنعنا

من استخدام هذا المصطلح القرآنيّ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] في سياق إمامة الهدى.

ومما يؤكّد أنّ مصطلح (خليفة) يُقصد به الإمامة السّياسيّة قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ص: ٢٦].

كما أنّ مصطلح خليفة يُقصد به إلى جوار الزّعامة والإمامة السّياسيّة معنًى إضافيّ، وهو الإشارة إلى تداول السّلطة؛ لأنّ الخليفة يأتي بعد مخلوف؛ فسياق القرآن المتعلّق بالخلافة والاستخلاف يدلّ على هذا، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ [الأنعام: ١٣٣].

- ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗا﴾ [هود: ٥٧].
- ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

فالآيات السّابقة أكّدت ما ذهبتُ إليه بصريح القرآن؛ لأنّني أؤمن أنّ منهجيّة تفسير القرآن بالقرآن هي أقوى مناهج التّفسير، وهذه المنهجيّة تساعدنا في فهم القرآن موضوعيًّا، وتساعدنا أيضًا في فهم القرآن حتى لغويًّا. أقول هذا؛ لأنّ هذا المصطلح (خليفة) مصطلح مهمّ قرآنيًّا، وقد أخطأ في فهمه كثير من العلماء والمفكّرين؛ فاعتبروا الخلافة في الأرض، وكأنّها مصطلح لتنظيم علاقة الإنسان بالأرض أيْ الطّبيعة، والحقيقة أنّه مصطلح سياسيّ لتنظيم العلاقات السّياسيّة، والخطأ الآخر من وجهة نظري الذي وقع فيه بعض العلماء والمفكّرين هو اعتبار هذه الخلافة خلافة عن الله، في حين أنّ سياق الآيات يدلّ على أنّها خلافة بالله، فلو جاء هذا المصطلح (خليفة) خاصّ بآدم لاحتملنا هذا الفهم القائل إنها خلافةً عن الله، لكنّ سياق الآيات كلّها المتعلّقة بهذا المصطلح (خليفة – خلفاء – يستخلف) يؤكّد أنّه استخلاف بالله، لا استخلاف عن الله بدليل الآيات التّالية:

- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ [النور: ٥٥].

- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الأعراف: ٦٩].

- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٧٤].

إذًا فمصطلح خليفة تدلّ قرآنيًّا على ثلاثة أبعاد لغويّة:-

١- أنّها زعامة ورئاسة سياسيّة لتنظيم العلاقات السّياسيّة.

٢- أنّها تشير إلى تداول السّلطة ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الأعراف: ٦٩]. لأنّ كلمة خليفة تدلّ على مخلوف وخالف.

٣- وأنّها خلافة بالله لا عن الله، بدليل أنّ كلّ الآيات تشير إلى أنّ الله استخلف آدم وداود، واستخلف قومًا عن قوم، ووعد باستخلاف المؤمنين في كلّ أطوار الصّراع السّياسيّ التّاريخيّ بين المؤمنين والكافرين.

من خلال المعاني اللّغويّة لمصطلح خليفة للقرآن فإنّنا نفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠]. أنّ خلافة آدم هنا هي خلافة بدلاً عن الملائكة والجنّ بزعامة الشّيطان؛ أيْ أنّ الشّيطان كان هو الخليفة قبل آدم والقرائن التي تعزّز هذا الفهم هي:

أ- احتجاج الملائكة على قرار التّعيين الإلهيّ لآدم خليفةً بقولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ومما يؤكّد شعور الملائكة على رأسهم الشّيطان أنّ هذا الأمر (جعْل آدم خليفة) فيه دلالة على انتزاع الخلافة منهم، وارتباط هذا وتعلّقه بهم هو هذا الاحتجاج الملائكيّ، وهذا الحوار السّياسيّ الرّائع بين الله والملائكة الذي سعى الملائكة من خلاله بقيادة إبليس الذي كان

طاووس الـملائكة إلى التّشكيك في كفاءة آدم وجدارته بهذا الـمنصب: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ب- ثم يأتي الـمشهد الثّاني لقصّة أوّل صراع سياسيّ شهدته الخليقة بين الـملائكة والجنّ، وبني آدم وقصّة أول حوار سياسيّ يدور حول تداول السلطة السّياسيّة، مشهد أنّ الله سبحانه وتعالى لم يغضب من الـملائكة والشّيطان على هذا الحوار السّاخن، وإنّما حاورهم، وعندما شكّكوا في كفاءة آدم، وأظهروا أنّهم أجدر منه بقولهم: «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ».

ردّ الله عليهم بما يثبت أنّه أكفأ منهم، ولم يكن ردّ الله ردًّا نظريًّا، وإنّما لكي يقتنعوا قناعة كاملة أنّه أكفأ منهم أدخل الجميع في اختبار عمليّ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣١-٣٣].

والآيات السّابقة أوضحت لنا عدّة أمور:

١. أنّ معيار ومواصفات هذا الـمنصب الأساسيّ هو العلم والكفاءة.

٢. جرى الاختبار العمليّ بين آدم والـملائكة متعلّقًا بهذا الـمعيار (العلم).

٣. أثبت لهم عمليًّا أنّ آدم أكثر علمًا منهم.

٤. لو حاولنا معرفة سرّ تفوّق آدم العلميّ لوجدناه في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ فالكلّ تعلّم من الله تعالى، لكن ما تميّز به علم آدم يكمن في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ فكلمة (كلّها) إشارة إلى العلم الكليّ الذي هو علم السّنن، وهو العلم الذي يقود إلى الفهم الشّامل، ويتولّد عن هذا العلم الكلّيّ خاصيّة التّنبّؤ واستباق الأحداث، ولا يصل إلى هذا

الفهم إلاّ من امتلك خاصّيّة التّعلّم الذاتي وملكة فهم قويّة تحلّل وتستنبط، أمّا علم الملائكة فهو علم جزئيّ، وليس لهم خاصّيّة العلم الذّاتيّ، ولذلك لا يعلمون إلاّ بقدر التّلقين الإلهيّ لهم مباشرة، وإن في هذه القصّة دروس بليغة في علم السّياسة وفي علم الإدارة أشرنا إليهما ولم نفصّلها.

ج- ومن القرائن على أنّ خلافة آدم جاءت بدلاً عن رئيس الملائكة (إبليس) والملائكة أيضًا، هو أنّه بعد إثبات كفاءة آدم العلميّة على الملائكة تمّ إصدار التّوجيهات الرّبانيّة إليهم بالتّسليم لخلافته وإعلان طاعته من خلال الأمر الإلهيّ بالسّجود، والسّجود هنا سجود الطّاعة والاعتراف ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

د- من الأدلّة أيضًا على أنّ خلافة آدم كانت بدلاً عن الشّيطان رئيس الملائكة هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦١-٦٥].

فقول الشّيطان في الآية: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ دليل على استخلاف آدم بعد مخلوف هو الشّيطان؛ إذ عدّ الشّيطان تعيين آدم تكريمًا لآدم على الشّيطان؛ أيْ بديلاً عنه.

الأصول المحكمة المتعلّقة بمفهوم أهل البيت وآل البيت في القرآن

تابع خيريّة القرآن وعنصريّة الشّيطان:

يتّضح لنا من قصّة آدم وإبليس أنّها قصّة أوّل صراع سياسيّ في الأرض، وفيها العديد من الدّروس السّياسيّة أهمّها:

١- أنّ مشكلة الشّيطان هي مشكلة سياسيّة تتمثّل في رفضه لخلافة آدم في الأرض بحجّة وضاعة أصله وعنصره «خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ» واشتراطه الأفضليّة العنصريّة لتولّي الخلافة، وتكبّر الشّيطان باشتراطه الأفضليّة العنصريّة كشرط من شروط الولاية والخلافة كان سببًا في تكفيره وطرده من رحمة الله وحرمانه من الخلافة ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: ١٣]. ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

ويترتّب على هذا المعنى القرآنيّ الواضح الصّريح القطعيّ الدّلالة أنّ من اشترط الأفضليّة العنصريّة للولاية العامّة والخلافة، ولم يكتفِ بشرط العلم كما أوضح القرآن ذلك ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. فقد خرج عن الولاية الإلهيّة ودخل في الولاية الشّيطانيّة الطّاغوتيّة ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧]. فيكون حكم من فعل ذلك كحكم الشّيطان، ويجب أن يُحرم من الولاية العامّة والخلافة، بل ويُطرد من الأرض التي يحلّ فيها حتى لا يتكبّر فيها بنزعته العنصريّة الشّيطانيّة ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: ١٣]..

٢- ويتعزّز هذا الفهم بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن بأنّ الله حرّم الولاية العامّة والخلافة على المستكبرين المشترطين للأفضليّة العنصريّة كشرط من شروط الولاية، واختصّ المستضعفين بالولاية العامّة والخلافة بقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥﴾ [القصص: ٥]. فهذا دليل قرآنيّ قطعيّ الدّلالة بأنّ

الله سبحانه وتعالى اتّجهت إرادته لنصرة المستضعفين المحرومين من الحقوق السّياسيّة والاجتماعيّة، لا المستكبرين بإعطائهم هذه الحقوق ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ فكما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لآدم الذي استضعفه الشّيطان واحتقره لوضاعة أصله الطّينيّ بزعمه تصرّح هذه الآية الكريمة بجعل بقيّة المستضعفين أئمّة ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ أيْ زعماء وقادة وخلفاء، وفي سياق المستضعفين والمستعبدين القرآنيّ هذا يمكن فهم حديث رسول الله ﷺ المطابق لمعنى القرآن في قوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشيّ كأنّ رأسه زبيبة»، فهذا الحديث يتطابق مع القرآن من زاوية نصرة المستضعفين على المستكبرين، وإقرار الولاية العامّة فيهم، وحرمان المستكبرين منها، بل وطرْد المستكبرين وإخراجهم من الأرض التي يحلّون فيها حتى لا يفسدوها بكِبرهم.

٣- أنّ الخلافة والولاية العامّة أصل من أصول الشّريعة بدليل أنّ الله سبحانه وتعالى كفّر الشّيطان ولعنه وطرده من رحمته؛ بسبب موضوع الخلافة والولاية لآدم، لا بسبب آخر عقديّ أو تشريعيّ، ومن المعلوم عند العلماء أنّ الحكم بالكفر لا يكون إلاّ في الأصول لا المسائل الفرعيّة.

٤- أنّ الإسلام لا يقيم وزنًا للأنساب والأحساب؛ فعلى الرّغم من أنّ الملائكة خلقوا من نور، والجنّ خُلقوا من نار، وبني آدم خُلقوا من طين إلاّ أنّ الله فضّل آدم عليه السلام وجعل معيار التّفاضل بين النّاس معيار كسبيّ لا قسريّ يمكن أن يتسابق النّاس في تحصيله وهو العلم والتّقوى والكفاءة والإخلاص، أمّا المعايير القسريّة (اللّون – الدّم – الوطن – القوم) فلا تصلح أن تكون معيارًا للتّفاضل؛ لأنّها معايير قسريّة ليس بيد الإنسان اختيارها.

٤- الحوار السّياسيّ الرّائع بين الله والـملائكة، وأنّ في هذا الحوار بين الخالق ومخلوقيه لدرس بليغ لكلّ الطّغاة والـمستكبرين الذين يأنفون من استشارة أو محاورة تابعيهم، فضلاً عن محاورة مخالفيهم.

٥- أنّ تداول السّلطة من أهمّ الأسباب للحروب والصّراعات السّياسيّة عبر التاريخ وأنّ الوصول إلى تداول السّلطة سلميًّا تجنيب لحياة الدّول والـمجتمعات من حروب مدمّره وهدر كبير للطّاقات والإمكانات في سبيل إرضاء قيادات سياسيّة تتنافس على السّلطة.

٦- إنّ قصّة الشّيطان مع آدم في القرآن الكريم بيّنت لنا حقيقة هامّة غابت عن أذهان كثير من العلمـاء، وهي أنّ مشكلة الشّيطان العقديّة الكبرى ليست في كفره بالله؛ فهو مؤمن بالله بصريح القرآن في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩﴾ [ص: ٧٩]. وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحشر: ١٦]. ولكنّ مشكلته في كِبره وتمرّده واعتداده بأصله ومحتده، وفي رفضه التّسليم بحقوق آدم السّياسيّة «حقّ الخلافة في الأرض» ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ بحجّة وضاعة نسب آدم؛ لأنّه خُلق من تراب والشّيطان خُلق من نار.

فالكِبر في الـمنظور القرآنيّ هو الخطيئة الكبرى التي استوجبت تكفير الشّيطان ولعْنه وطرْده من رحمة الله لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

ومن هذا الـمنطلق القرآنيّ الواضح نقول إن من اعتدّ بنسبه وأصله لصلة قرابة بنبيّ من الأنبياء أو رسول من الرّسل معتبرًا أنّه من نسب مقدّس وأنّ الآخرين من نسب مدنّس؛ فزعم نفسه سيّدًا والآخرين عبيدًا فقد استكبر، ومن استكبر فقد كفر لصريح قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٩]. ومن اعتقد نفسه عبدًا لسادة من البشر فقد

أشرك بالله وكفر؛ لأنّه لا يمكن أن تجتمع عبوديّة الإنسان لخالقه مع عبوديّته لبشر؛ لأنّ جوهر التّوحيد هو إطلاق حريّة الإنسان إزاء الإنسان وإعلان مبدأ المساواة بين البشر ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل‌عمران: ٦٤].

والقرآن بصريحه ذمّ سيادة بشر على بشر، واعتبر ذلك مظهرًا من مظاهر الشّرك والضّلال ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧]. فلا ربّ ولا سيّد إلاّ الله.

وذمّ القرآن الذين يفسّرون الدّين تفسيرًا عنصريًّا، ويزكّون أنفسهم زاعمين أنّهم أبناء الله وأحباؤه، أو أبناء رسول الله وأحباؤه.

فقال تعالى في سياق ذمّ اليهود –خاصّة– ومن سار على نهجهم في التّفسير العنصريّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [النساء: ٤٨–٥٠].

وكما لعن الله الشّيطان وطرده من رحمته؛ لأنّه زكّى نفسه عنصرًا وأصلاً فقال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٦–٧٨].

نجد القرآن يلعن اليهود الذين زكّوا أنفسهم افتخارًا بنسبهم الإبراهيميّ في نفس السّياق من سورة النّساء بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: ٥٢].

٧- الخيريّة في المنظور القرآنيّ خيريّتان: خيريّة الرحمن، وخيريّة الشّيطان .. خيريّة الرّحمن هي خيريّة الأخلاق والقيم، وخيريّة الشّيطان هي خيريّة العنصر والدم: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص: ٧٦-٧٨]. فالكِبر والاستعلاء والتّفاخر بالأصل والعنصر والنّسب هي عنوان هذه المدرسة، وبالتالي فمن استكبر واستعلى على بني آدم، وفسّر الدّين تفسيرًا استعلائيًّا استكباريًّا عنصريًّا فهم تابعون لمدرسة الشّيطان وإن لبسوا لبوس الدّين، وهم (آل الشّيطان وذرّيّة إبليس) لا آل الرّسول. ويقول تعالى في بيان خيريّة المؤمنين لا المتعصّبين المنافقين ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل‌عمران: ١١٠]. فخيريّة الإسلام هي خيريّة القيم أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، لا خيريّة الاعتداد بالأنساب والأحساب (دعوها فإنّها منتنة) كما قال الرسول ﷺ.

٨- على إثر رفض الشّيطان لخلافة آدم انقسم العالم إلى ساحة للصّراع السّياسيّ بين حزب الله وحزب الشّيطان، وبموجب حريّة الإرادة التي مُنحت من الله للجنّ والإنس - بخلاف الملائكة - أمهل الله الشّيطان إلى يوم القيامة لقيادة التمرّد ضدّ الله وأديانه السّماويّة، التي ما تنزّلت إلاّ لتحقيق مصالح البشريّة دنيا وآخره ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المائدة: ١٦]. وتحريرهم من الأنظمة الطّاغوتيّة الاستبداديّة التي تراعي مصالحها الأنانيّة، وتلغي مصالح المجتمعات والشّعوب ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فقد طلب الشّيطان من الله إمهاله إلى يوم القيامة قَالَ: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١﴾ [ص: ٧٧-٨١].

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]. فأكّد الشّيطان أنّه سيغوي بني آدم من نفس غوايته وهي النّزعة العنصريّة الاستكباريّة.

بعد هذا الخلاف انقسم العالم -كما أسلفت- إلى ساحة للصّراع السّياسيّ بين أولياء الرّحمن وأولياء الشّيطان، أولياء الرّحمن هم أتباع النّظام السّياسيّ الإلهيّ، وهو النّظام الذي تكون فيه الولاية العامّة قائمة على أساس العقيدة لا على التّفسير العنصريّ والعصبيّة الجاهليّة؛ فالولاية العامّة والخلافة في المنظور القرآنيّ قائمة على أساس الإيمان، لا الأفضليّة العنصريّة؛ لصريح قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥].

فالوعد في القرآن بالخلافة السّياسيّة والتّمكين للمؤمنين، وليس لعصبيّة جاهليّة هاشميّة أو قحطانيّة. (ليس منّا من دعا إلى عصبيّة).

فهْم الأدلّة الفرعيّة (المتشابهة) المتعلّقة بآل وأهل البيت في ضوء المحكم

بعد أن أوضحت المعاني المحكمة لمفهوم آل البيت وأهل البيت في القرآن والسّنة الصّحيحة بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسّنّة الموافقة لمتون النّصوص القرآنيّة لا المتعارضة معها، عملاً بقوله تعالى: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل‌عمران: ٧]. لأن المنهجيّة الصّحيحة للفهم والاستدلال الذي أشارت إليه الآية السّالفة هو البدء بالمحكم؛ أيْ الأصل (أم الكتاب)، ثمّ المتشابه (الفرع)؛ لأنّ الفرع –

كما يقول علماء الأصول- لا يمكن معرفته قبل معرفة أصله، ومن هنا ينشأ التّشابه. سأبدأ بمناقشة الأدلّة الفرعيّة ومتشابهاتها على النّحو التّالي:-

(١) حديث الكسا:-

حديث الكسا من أهم وأخطر الأحاديث التي يستشهد بها من يفسّرون الإسلام تفسيرًا عنصريًّا سلاليًّا استكباريًّا «الشّيعة بمختلف مذاهبهم»، وهذا الحديث أربك أيضًا الكثير من علماء السّنة، وهو حديث رسول الله ﷺ المرويّ عن عائشة قالت: (خرج رسول الله ﷺ وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ، فأدخله، ثم جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

وفي رواية للتّرمذي روى بسنده إلى عمرو بن أبي سلمة ربيب النّبيّ قال:« لمّا نزلت هذه الآية على النّبيّ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سَلَمة، فدعا فاطمة وحسنًا وحُسينًا، فجلّلهم بكسا وعليّ خلف ظهره، فجلّله بكسا، ثمَّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهبْ عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا. قالت أمّ سَلَمة: وأنا معهم يا نبيّ الله؟ قال: أنتِ على مكانك، وأنت على خير».

وسأناقش مدلول هذا الحديث على ضوء القواعد المنهجيّة التي أشرت إليها سلفًا من عدّة زوايا:

أ- أقول هذا الحديث (حديث الكسا) ورد في سياق تفسير قوله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وبعض علماء أهل السنّة من ذوي المنهجيّة الجزئيّة قَبِلَ هذا الحديث على قاعدة تفسير القرآن بالسّنة، وهذه القاعدة

صحيحة، لكن ما ينبغي التنبّه له أنّ المفسّر قد يفسّر القرآن بالسّنة إذا كان نصّ الحديث موافقًا للنصّ القرآنيّ لا معارضًا له، لا سيّما إذا كانت دلالة متن النّصّ القرآنيّ قطعيّة لا ظنّيّة، أما إذا تعارض الحديث مع متن النّصّ القرآنيّ فعندئذ نعمل بالقاعدة الأصوليّة المشار إليها (قاعدة التّعارض والتّرجيح)؛ أيْ عندما يتعارض حديث الرسول ﷺ الظّنّيّ السّند مع النّصّ القرآنيّ القطعيّ السّند والدّلالة، فنحاول التّوفيق بين النّصين المتعارضين ولو استدعى الأمر أن نغلّب المفهوم المرجوح للحديث على المفهوم الرّاجح، فإذا لم نستطع التّوفيق يردّ الحديث؛ لأنّه ليس كلّ حديث صحيح السّند صحيح المتن، كما قرّر ذلك علماء الأصول كالشّاطبي والإمام مالك الذي كان يقدّم عمل أهل المدينة على الحديث الآحادي الظنّي الصّحيح، وكالإمام البخاريّ الذي أورد حديث ردّ عائشة للحديث الصّحيح السّند المرتبك المتن «إنّ الميّت ليُعذّب ببكاء أهله».

والمفسّر المتدبّر للآية المتعلّقة بأهل البيت وتطهيرهم سيجدها خاصّة بنساء النّبيّ نصًّا ومضمونًا، بحيث لا يمكن أن يدرج في مفهوم الآية أيّ رجل لاعتبارات تتعلّق بسياق الآية ومضمونها، ولنتدبّر معنى هذه الآيات في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٤].

إن المتدبّر لمتن هاتين الآيتين سيدرك بوضوح أنّ الآية وردت في سياق نساء النّبيّ، خاصّة بصريح القرآن والنّداء موجّه لنساء النّبيّ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾

ومضمون الآيتين كلّه في سياق نساء النّبيّ: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾

وبهذا يتّضح أنّ متن الآيتين القرآنيّتين متعلّق بنساء النّبيّ ﷺ بدلالة قطعيّة يفهمها طالب في الصفّ الثّالث إعدادي فضلاً عن عالم مجتهد، وهذا الرّأي هو المشهور عن ابن عباس، كما جاء في تفسير ابن كثير.

وليس ذلك فحسب بل أستطيع القول بأنّ هذا السّياق القرآنيّ لا يمكن أن يدخل فيه أحد غير نساء النّبيّ ﷺ بصورة خاصّة، والسّبب أنّه كما يقول علماء الأصول بأنّ الحكم يدور مع العلّة وجودًا وعدمًا.

فسياق الآيتين أوجب على نساء النّبيّ تكاليف وأحكامًا إضافيّة ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ هذه الأحكام والتّكاليف هي:

- ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾
- ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾
- ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾

ثم أوردت الآية علّة هذه الأحكام والتّكاليف بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ فعلى هذا الأساس (الحكم يدور مع العلّة) لا يمكن إدخال أحد من الرجال في سياق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ إلاّ إذا تمّ إسناد تلك الأحكام والتّكاليف إليهم، وهي عدم الخضوع بالقول والقرار في البيت وعدم التّبرّج، وهذا أمر مستحيل؛ لأنّ هذه التّكاليف التي دارت عليها العلّة منوطة بالنّساء لا بالرّجال.

ويتعزّز هذا الفهم بأنّ المقصود بأهل البيت في هذه الآية نساء النّبيّ بقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فلنتدبّر معًا هذا التّعبير القرآنيّ (بيوتكن) فقد دلّ هذا التّعبير دلالة قاطعة بأنّ أهل البيت هنّ نساء النّبيّ بنسبة بيوت النّبيّ إليهن بدخول نون النّسوة على البيوت.

وبهذا نخلص بأنّ متن هاتين الآيتين قطعيّ الدّلالة بأنّ المقصود بأهل البيت هنا نساء النّبيّ خاصّة.

وفي هذا السّياق يمكننا القول بأنّ حديث الكسا قد عارض وخالف صريح الآيات القرآنيّة في سورة الأحزاب، عندما أخرج الحديث نساء النّبيّ من سياق هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ مع أنّ ما قبل هذا السّياق وبعده يتحدّث عن نساء النّبيّ على النّحو الذي أوضحته.

ومن هذه الزاوية يمكننا القول بأنّ هذا الحديث وإن صحّ سنده، إلاّ أنّ متنه يعارض القرآن، وقد أوضحت سلفًا بأنّ صحّة السّند لا تستوجب صحّة المتن، وأنّ متن الحديث إذا خالف القرآن حكم عليه بالبطلان، وإن كان صحيح السّند كما قرّر ذلك علماء الحديث، من ذلك ما أكّده الشيخ الألباني المحدّث المعاصر الشّهير في كتابه الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات، بأنّ صحّة السّند لا تستوجب صحّة المتن، وأنّ هذه قاعدة مشهورة عند علماء الحديث بقوله: «المقرّر في علم مصطلح الحديث أنّ صحّة الحديث لا يستلزم صحّة المتن لعلّة فيه خفيّة، أو شذوذ من أحد رواته».

وذكر ابن القيّم في كتابه (المنار المنيف في الصّحيح من الضّعيف) أمورًا كليّة يُعرف بها كون الحديث موضوعًا، منها مخالفة الحديث لصريح القرآن.

وما قاله محدّث الديار اليمنيّة الشّيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: «كتاب ابن الجوزي من أحسن الكتب، أنصح إخواني في الله بقراءته، وهو مأخوذ من "الأباطيل" للجوزقاني، وابن الجوزي أعلم من صاحب الأباطيل، وصاحب الأباطيل متكلم فيه (١)، لكن ابن الجوزي عالـم ومحدّث فله نظران إلى الحديث. أحدهما: أنّه ينظر إلى السّند، ثمّ ينظر إلى الـمتن، فإذا رأى الـمتن مباينًا لشرع الله أو رآى فيه شيئًا من النّكارة حكم عليه، ولو كان الحديث ما في سنده كذاب» الفتاوى الحديثيّة [٤٠٢\١١ ط دار الآثار].

فيكون حال هذا الحديث كحال الحديث الذي ردّته عائشة رضي الله عنها «إنّ الـميّت ليُعذّب ببكاء أهله» لـمخالفته لصريح القرآن، وبهذا يتّضح صحّة ماحكم به ابن تيميّة على الأحاديث التي يتشبّث بها الشّيعة الرافضة بقوله: «وأمّا سائر الأحاديث التي يتعلّق بها الرّوافض فموضوعة، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونَقَلتها» (١). (١) منهاج السّنة [٧/ ٣٢٠ـ٣٢١].

ب- بعد أن أوضحت تعارض هذا الحديث مع نصّ القرآن الـمتعلّق بالآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نقول بأنّ هذا الحديث يتعارض مع السّياق الـمحكم لمفهوم أهل وآل البيت في القرآن، والذي طرقناه من عدّة زوايا على النّحو السّالف.

ج- كما أنّ حديث الكسا يتعارض مع نصّ قرآنيّ متعلّق باللّباس والكسا في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦].

فصريح هذه الآية دلّ على وجود لباس وكسا (طينيّ جسديّ) (لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا) ولباس وكسا دينيّ (وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ).

وبهذا يتّضح أنّ من يفسّرون القرآن باللّباس والكسا العنصريّ (لباس الجسد والطّين) يعارضون صريح القرآن الذي يؤكّد أن كسا ولباس الدّين والتّقوى هو خير، وهذا تعزيز لـمفهوم أهل البيت وآل البيت بمفهوم الدّين لا الطّين بمنطلقاته الإنسانيّة لا العنصريّة الشّيطانيّة.

فهم الأدلّة الفرعيّة (الـمتشابهة) الـمتعلّقة بآل وأهل البيت في ضوء الـمحكم

(٢) حديث العترة:

قال رسول الله ﷺ: «إِنِّى تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللهِ وَعِتْرَتِى أَهْلُ بَيْتِى» حديث صحيح (السّلسلة الصّحيحة للألباني).

هذا الحديث أيضًا من الأحاديث التي استغلها الشّيعة في مرويّات أهل السّنة، وفسّروا الإسلام تفسيرًا عنصريًّا بموجبه، ولبيان معنى هذا الحديث أقول: إنّ العالـم الـمُلمّ بالشّريعة الغرّاء مقاصد وكلّيات وجزئيّات، ومحكمات ومتشابهات، وعامًّا وخاصًّا، ومجملاً ومقيّدًا عندما يقف أمام هذا الحديث يجب أن يكون في ذهنه كافّة القواعد الـمنهجيّة التي أشرنا إليها في بداية البحث، وهو عندما يسبر غور هذا الحديث وفْق تلك القواعد، ويقف أمام حديث للرّسول ﷺ كمثل هذا الحديث، يفترض فيه ألاّ يتوقّف عند دلالة الحديث، ويستنبط منه معنًى يعارض الـمعاني الـمحكمة التي سبق إيرادها، بل يعتبر دلالة هذا الحديث الفرعيّ متشابهة، ثم يقوم بعرض هذا الحديث على الـمحكم من الـمعاني عملاً بقوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ [آل‌عمران: ٧].

وقد أشار علماء التّفسير أنّه عندما تبرز دلالة متشابهة فيتوجّب الردّ إلى الـمحكم؛ أيْ الأصل؛ لأن منشأ الإشكال عند البعض هو النّظرة الجزئيّة للنّصوص، وكأنّ كلّ نصّ موضوع مستقلّ، في حين أنّ الـمنهجيّة الصّحيحة هو التّفسير الـموضوعيّ لكافّة النّصوص الـمتعلّقة

بالـموضوع مع التّمييز بين الأصل والفرع في الـموضوع الواحد والـمحكم والـمتشابه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤]. فأصل الـموضوع كجذر الشّجرة التي يعطيها الثّبات والتّماسك، وفرعها لا يثبت إلاّ إذا كان الأصل ثابتًا، وما أشرنا إليه من محكمات وأصول في هذا الـموضوع (نسب الطّين ونسب الدّين – قصّة نوح ومفهوم الأهل في القرآن – مفهوم الآل في القرآن بأنّهم الأتباع – وحدة الأصل البشريّ (قصّة آدم) ....الخ) هي الأصول الـمحكمة الحاكمة؛ لأنّ القرآن مقدّم في الاعتبار، ويجب أن يُفهم هذا الحديث في ضوئها ما لم يُردّ، والعالـم عندما يسير وفق هذه الـمنهجيّة الـمحكمة سيسبر غور هذا الحديث كالتّالي:

معنى قوله ﷺ: «إِنِّى تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللهِ وَعِتْرَتِى أَهْلُ بَيْتِى»:

١ – على ضوء القواعد الـمنهجيّة السّالفة اتّضح أنّ القرآن قد فرّق بين نسب الطّين ونسب الدّين، وجعل نسب الدّين فوق نسب الطّين، وبالتّالي استخدم كلّ الـمفردات اللّغويّة الدّالة على نسب الطّين في سياق نسب الدّين مثل كلمة (أخ) ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وكلمة (أب) ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. (الأمهات): ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]. ...الخ، وبالتّالي فالحديث استخدم كلمة عترة ثم فسّر العترة بأنهم أهل البيت (وعترتي أهل بيتي)، وعليه فإنّ معنى العترة وأهل البيت في هذا الحديث هم الـمؤمنون وليس بني هاشم، وعلى ضوء هذا الفهم تنتفي الإشكاليّة من الحديث، ولا يُفهم فهمًا عنصريًّا سلاليًّا طاغوتيًّا استكباريًّا يقسم النّاس إلى سادة وعبيد؛ لأن هذا الفهم يضرب مقاصد الإسلام وكلّيّاته.

٢- وعلى ضوء هذا الفهم سيكون معنى الحديث هو الإشارة إلى الإجماع أو الشّورى لقول الرّسول ﷺ (لا تجمع أمّتي على ضلالة).

٣- وإذا أدركنا أنّ هناك روايتين: رواية تقول: «كتاب الله وسنّتي» ورواية تقول: «كتاب الله وعترتي»، فستكون دلالة الحديثين هي الإشارة إلى مصادر التّشريع المعروفة في كتب الأصول (القرآن – السّنة – الإجماع أو الشّورى)، وبهذا الفهم لا نجد أيّ إشكاليّة في فهم الحديث.

٤- ويتعزّز هذا الفهم لمعنى الثّقلين في الحديث والعترة أهل البيت بأنّهما (وحي السماء كتابًا وسنة) (والإجماع والشّورى) بما ورد في القرآن من تأكيد بأنّ مدار أمر المسلمين يقوم على أصلين هما:

أ- الشّريعة الإسلاميّة (قرآن وسنّة)

ب- الشّورى

أما الدّليل بأن الشّريعة هي الأصل الأول، والثّقل الأول الذي يقوم عليه أمر المسلمين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨]. فصريح هذه الآية قد اعتبر الشّريعة هي مدار الأمر الواجبة الاتّباع.

وأمّا الدّليل القرآنيّ الذي اعتبر الشّورى الأصل الثّاني والثّقل الثّاني الذي يدور عليه أمر المسلمين، هو قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. فالنّصّ القرآنيّ هنا صريح الدّلالة أنّ أمر المسلمين من بعد الشّريعة يعود إلى الشّورى.

إذًا فالثّقلان كتاب الله والعترة هما (الشّريعة – والشّورى).

٥- لو افترضنا أنّ المقصود بالحديث هنا (أهل البيت والعترة) بني هاشم لتصادم هذا الفهم مع كافّة المعاني المحكمة التي أشرت إليها سلفًا، وحكم هذا التّعارض إذا لم نجد لهذا

الحديث تأويلاً ينسجم مع المعاني المحكمة الواردة في هذا السّياق هو ردّ الحديث على قاعدة عرض الحديث على القرآن لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. فهذه الآية قرّرت توافق وحي السماء كتابًا وسنّة، وجعلت من اختلاف النّصوص والتّعارض دلالة على أنّها من عند غير الله، وعلى ضوء هذا الدّليل أقول لأهل السّنة الذين ضعّفوا حديث ردّ السّنة إلى القرآن بأنّ هذه آية لردّ السّنة إلى القرآن، وليس حديثًا، ولأنّ القرآن قطعيّ سندًا، والسّنة ظنّيّة، فيجب عرضها على القرآن، فإذا اختلفت مع القرآن، وتعارضت أدركنا أنّ هذا الحديث من عند غير الله ورسوله؛ أي حديث موضوع، وإن كان سنده صحيحًا.

٦- كما أنّنا لو افترضنا أنّ المقصود بالعترة بنو هاشم فإلى جوار مصادمة هذا الفهم للمعاني المحكمة القرآنيّة الواردة بهذا الصّدد على النّحو الذي أسلفت، فإنّنا من زاوية أخرى إذا افترضنا أنّ المقصود بنو هاشم من العترة والآل فسنجد أنفسنا في إشكاليّة في تطبيق هذا الفهم في الواقع؛ لأنّ بني هاشم منهم المؤمن والكافر، ومنهم السّنيّ والشّيعيّ، وهم موزّعون بين السّنة شوافع وحنابلة وأحنافًا ومالكيّة، وموزّعون بين الشّيعة زيديّة وإثنا عشرية وإسماعيلية وبهائيّة ...الخ، وهنا سيبرز السّؤال: من المقصود ببني هاشم؟ السّنة أم الشّيعة؟ وإذا كانوا في السّنة فأيّ مذهب؟ وإن كانوا في الشّيعة فأيّ مذهب؟ وبهذا نخلص أنّه يستحيل تطبيق الفهم العنصريّ لهذا الحديث في الواقع.

(٣) قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]:

نقول ابتداء يجب أن لا نفهم هذه الآية المتشابهة إلاّ في ضوء المعاني المحكمة القرآنيّة السّالفة الذكر، عملاً بقاعدة ردّ المتشابه إلى المحكم.

وعلى هذا الأساس فالقرابة هنا تُحمل على قرابة الدّين وليس على قرابة الطّين، ويتعزّز هذا الفهم بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن، بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]. فصريح هذه الآية نفى المودّة عن الأقارب طينًا أبًا وابنًا وأخوة وعشيرةً، وأثبتها دينًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾.

فهذه دلالة قطعيّة قرآنيّة على أنّ المودّة لا تكون لقرابة الطّين، وإنّما لقرابة الدّين.

الخلاصة:

من هم آل البيت في المنظور القرآنيّ

١- أهل البيت وآل البيت في المنظور القرآنيّ هم المنتسبون إلى الرّسول محمد ﷺ دينًا (المؤمنون)، وليس المنتسبون للرّسول ﷺ طينًا (بني هاشم)؛ لأن بيت النّبوة هو بيت الدّين وليس بيت الطّين.

٢- وقوام هذا البيت هم المؤمنون لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

٣- وهؤلاء المؤمنون أمّهاتهم نساء النّبيّ لقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. والنّبيّ ﷺ، أبو المؤمنين أبوّة دين لا أبوّة طين.

٤- كما أنّ البيت قد تمّ تجسيده (بالكعبة) والطّائفون حوله من المؤمنين هم آل هذا البيت وأهله وأولياؤه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤]. والقائل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١١٢٥].

٥- وأخطر فتنة قام بها التّأويل المجوسيّ للإسلام، وقاتل عليها قتال لسان لا قتال سنان- هي فتنة إخراج المؤمنين أهل بيت الله الحرام عن معنى أهل البيت بحصره في أهله نسبًا وطينًا، لا أهله إيمانًا ودينًا، بدليل هذه الآية، والتي إن كان لها سبب نزول إلاّ أنّ العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب كما يقول علماء الأصول، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧].